شاعرٌ دافع عن الإسلام، بمنزلته وشعره

لك » (٣) ولم يكتف ابو طالب في هذا الرد ومرارة الخيبة التى الحقها بالمطعم بن عدى وبقية الوفد، وانما يعرض لنا ذلك في شعره فيقول معرضا بالمطعم بن عدى وجماعته ويسفه آراءهم وعقولهم .

ألاَ قُلْ لعمرو والوليد ومطعم
ألاَ ليت حظى من حياطتكم بَكْرْ (٤)

وبعد ان يصف البكر وهو من الابل يمضي فيقول ....

أرى أخوينا من أبينا وأمنا
اذا سئلا قالا الى غيرنا الأمر

بلى لهما أمر ولكن تجرجما
كما جرجمت من رأس ذى علقَ الصخر

أخص خصوصا عبد شمس ونوفلا
هما نبذانا مثل ما ينبذ الجمر

هما أغمزا للقوم فى أخويهما
فقد أصبحا منهم أكفهما صفر

هما أشركا فى المجد من لا أبا له
من الناس الا أن يرسَّ له ذكر

وتيم ومخزوم وزهرة منهم
وكانوا لنا مولى اذا بغى النصر

فوالله لا تنفك منا عداوة
ولا منهم ما كان من نسلنا شفر

فقد سفهت أحلامهم وعقولهم
وكانوا كجفر بئس ما صنعت جفر

وتستمر قريش على محاربة محمد صلى الله عليه وسلم وتمعن في تعذيب أصحابه ، وتشن عليهم حملة قاسية من الفتك والتمثيل بهم أنىّ وجدتهم فيخشى ابو طالب ان ينال الاذى محمدا ، ويدعو بنى هاشم ليمنعوه ويحموه وينصروه ، وقد يستجيب لدعوته الذين دعاهم ، فيقول شعرا يمدحهم فيه ، ويشيد بهم ، ويعيب قريشا على ما ذهبت اليه من ايذاء المؤمنين ومحاولة ردهم عن دينهم الجديد ويفخر بمنزلة محمد بين قومه ودفاع بني هاشم عن قريش قبل الدعوة ...

اذا اجتمعت يوما قريش لمفخر
فعبد مناف سرها وصميمها

وان حصلت أشراف عبد منافها
ففى هاشم أشرافها وقديمها

وان فخرت يوما فان محمدا
هو المصطفى من سرها وكريمها

تداعت قريش غثها وسمينها
علينا فلم تظفر وطاشت حلومها

وكنا قديما لا نقر ظلامة
اذا ما ثنوا صعر الخدود نقيمها

ونحمى حماها كل يوم كريهة
ونضرب عن أمجادها من يرومها

بنا انتعش العود الذواء وانما
بأكنافنا تندى وتنمى أرومها (٥)

ولم يكتف ابو طالب بدعوة بني هاشم لمساندته في الذود عن محمد وفي مدحهم او يقطع اسباب

---

٣ ، ٤ ــ السيرة النبوية لابن هشام ط ١٩٥٥المجلد ١ ــ ٢ ص ٢٦٧
٥ ــ السيرة لابن هشام ط ١٩٥٥ م ١ ــ ٢ ص ٢٦٩

الرجاء ويغلق الابواب في وجوه قريش فيبقى الطرفان على فرقة وتناقض ، وانما يذهب الى بيت الله وموطىء ابراهيم الخليل فيستعيذ بربه من اذى المشركين وطعنهم ، ومحاولات اعدائه بث الباطل والنيل من الدين الجديد ، فيرسل لنا ما تجيش به خواطره من غيرة وحب لمحمد واصحابه ودعوته ، في شعر نابض بالحياة والولاء في الدفاع عن الاسلام ، ويذكر فيه بعضا من رجال قريش واشرافها يستعطفهم ، ولكنه يذكرهم أيضا بأنه لم يتخاذل عن نصرة محمد ، ولم يتهاون في شيء من أمره ابدا . ومن بين الذين ذكرهم مستعطفا المطعم بن عدى الذى كان قد عرض به في مناسبة سابقة فنراه يقول :

فلما رأيت القوم لا وُدَّ فيهم
وقد قطعوا كل العرى والوصائل(٦)

وقد صارحونا بالعداوة والأذى
وقد طاوعوا أمر العدو المزايل

وقد حالفوا قوما علينا أظنَّة
يعضون غيظا خلفنا بالأنامل

صبرت لهم نفسى بسمراء سمحة
وأبيض عضب من تراث المقاول

وأحضرت عند البيت رهطى واخوتى
وأمسكت من أثوابه بالوصائل

الى ان يقول ...

أعوذ برب الناس من كل طاعن
علينا بسوء أو ملح بباطل

ومن كاشح يسعى لنا بمعيبة
ومن ملحق فى الدين ما لم نحاول

وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه
وراق ليرقى فى حراء ونازل

وبالبيت حق البيت من بطن مكة
وبالله ان الله ليس بغافل

وبالحجر المسودّ اذ يمسحونه
اذا اكتنفوه بالضحى والأصائل

وموطىء ابراهيم فى الصخر رطبة
على قدميه حافيا غير ناعل

وبعد ان يذكر بعض الشعائر والاماكن وبعض القبائل ، يوجه خطابه الى مناوئيه من المشركين واعداء محمد صلى الله عليه وسلم فيقول :

كذبتم وبيت الله نترك مكة
ونظعن الا أمركم فى بلابل

كذبتم وبيت الله نبزى محمدا
ولما نطاعن دونه ونناضل

ونسلمه حتى نصرع حوله
ونذهل عن أبنائنا والحلائل

ومن ثم الى المطعم بن عدى ...

أمطعم لم أخذلك فى يوم نجدة
ولا معظم عند الأمور الجلائل

رسالة شعرية الى النجاشي

ولما هاجر المهاجرون الى الحبشة وعلى رأسهم جعفر بن ابي طالب ارسل ابو طالب الى النجاشي أبياتا يحضه فيها على اكرام المهاجرين ويبين له فيها منزلة محمد ..

ليعلمْ خيار الناس أن محمدا
نظير لموسى والمسيح ابن مريم

وانك ما تأتيك منا عصابة
بفضلك الا أرجعوا بالتكرم

ولم تترك قريش امر المهاجرين الى الحبشة او تدعهم دون ان تحاول استرجاعهم وتأليب النجاشي عليهم ليطردهم من بلاده ، فارسلت وفدا من عمرو بن العاص وبحيرى بن ابي ربيعة في هذه المهمة ، وليسلم النجاشي المهاجرين الى قريش . ولكن ابا طالب يبعث له في هذه الابيات ليحضه على حسن جوار المهاجرين والدفع عنهم .

---

٦ ـ نفس المصدر ص ٢٧٢

ألا ليت شعرى كيف فى النأى جعفر
وعمرو وأعـداء العدوّ والأقـارب(٧)

وهـل نالت افعال النجاشي جعفرا
وأصــحابه أو عاق ذلـك شاغب

تعلّـم أبيت اللعـن انك ماجـد
كـريم فلا يشـقى لديك المجانب

تعلـم بأن اللـه زادك بسـطة
وأسـباب خـير كلهـا بك لازب

وانّك فيض ذو سـجال غـزيرة
ينـال الأعـادى نفعهـا والأقارب

دعوة لأبى لهب ..

ولما عاد المهاجرون من الحبشة الى بلادهم ، دخل ابو سلمة بن عبد الاسد في جوار أبي طالب فاقبل قومه على أبى طالب يستردون منه أبا سلمه فقالوا له « يا أبا طالب ، لقد منعت منا ابن أخيك محمدا ، فما لك ولصاحبنا تمنعه عنا ؟ قال : انه استجار بي ، وهو ابن أختي ، وان أنا لم أمنع ابن اختي لم أمنع ابن اخي ، فقام أبو لهب فقال : يا معشر قريش ، والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ ، ما تزالوان توثبون عليه في جواره من بين قومه ، والله لتنتهن عنه او لنقومن معه في كل ما قام فيه حتى يبلغ ما أراد» (٨) فانصرفوا خشية أن يخذلهم أبو لهب ، وقول ابي لهب هذا جعل أبا طالب يطمع فيه فيقول فيه شعرا يحضه على تأييده وان ينضم الى جانب الحق ..

وان امـرأ أبو عتيبـة عمـه
لفى روضـة ما ان يسـام المظالما(٩)

أقـول لـه وأيـن منـه نصيحتى
أبا معتب ثبّـت سـوادك قائمـا

ولا تقبلنّ الدهـر ما عشت خطـة
تسـب بهـا اما هبطت المواسـما

وول سـبيل العجـز غيرك منهـم
فانك لم تخلـق على العجز لازمـا

وحاربْ فان الحرب نصف ولن ترى
أخا الحرب يعطى الخسف حتى يسالما

وكيـف ولـم يجنوا عليـك عظيمة
ولـم يخذلوك غانمـا أو مفـارما

جـزى الله عنا عبـد شمس ونوفلا
وتيمـا ومخـزوما عقـوقا ومأثما

بتفريقهـم من بعـد وُدّ وألفـة
جماعتنا كيمـا ينالوا المحـارما

كذبتـم وبيت اللـه نبزى محمـدا
ولمـا تروا يوما لدى الشعب قائما

اشادة بالنبى ..

واخذ الاسلام يدب دبيب الضياء بين صفوف الظلام ، وانضم اليه بعض عظماء الرجال ، ومنهم عمر بن الخطاب ، ولم تجد نفعا مقاومة المشركين من قريش ومؤامراتهم ، فاخذوا يدبرون أمرا آخر للحدّ من انتشار الاسلام وكسر شوكة المسلمين ، فقد « اجتمعوا وائتمروا بينهم أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب ، على ان لا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئا ولا يبتاعوا منهم ، فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة ، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك (١٠) ، فقال أبو طالب في قريش وصحيفتهم هذه قصيدة يشيد بمحمد ومنزلته بين اصحابه ، ويندد بما اجتمعوا عليه ، ويؤكد أنه لم يتهاون في نصرة ابن اخيه او يسلمه لاحد ينال منه أو يتركه وشأنه بين القبائل لتؤذيه حتى وان أدى ذلك الى خوض الحرب ...

الا ابلغـا عنى علـى ذات بيننـا
لؤيا وخصما من لؤى بنى كعـب (١١)

ألـم تعلمـوا أنا وجدنا محمـدا
نبيـا كموسـى خط فى أول الكتـب

---

٧ ــ السيرة لابن هشام ط ١٩٥٥ م ١ ــ ٢ ص٣٣٣

٨ ــ نفس المصدر ص ٣٧١ .

٩ ــ السيرة لابن هشام ط ١٩٥٥ ص ٣٧١ .

١٠ ــ السيرة لابن هشام ط ١٩٥٥ ص ٣٥٠

١١ ــ نفس المصدر ص ٣٥٢

وأن عليه فى العباد محبة
ولا خير ممن خصه الله بالحب(١٢)

وأن الذى ألصقتم من كتابكم
لكم كائن نحسا كراغية السقب

افيقوا أفيقوا قبل أن يحفر الثرى
ويصبح من لم يجن ذنبا كذى الذنب

ولا تتبعوا أمر الوشاة وتقطعوا
أواصرنا بعد المودة والقرب

وتستجلبوا حربا عوانا وربما
أمر على من ذاقه جلب الحرب

فلسنا ورب البيت نسلم أحمدا
لعزاء من عض الزمان ولا كرب

ثم يقول :

أليس أبونا هاشم شد أزره
وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب

ولسنا نمل الحرب حتى تملنا
ولا تشتكى ما قد ينوب من النكب

ولكننا أهل الحفائظ والنهى
اذا طار أرواح الكماة من الرعب

وقد كان بين قريش من لم يتمسك بهذه الصحيفة او ينفذ ما جاء بها ، بل سعى الى ابطالها وتمزيقها وأول رجل قام بذلك هو هشام ابن عمرو بن ربيعة، وقد انضم آخرون اليه في عمله هذا وهم زهير بن ابي امية والمطعم بن عدى وزمعة ابن الاسود ـ وكأن المطعم بن عدى قد استجاب لاستعطاف ابي طالب له في قصيدته اللامية المذكور بعضها في هذا المقال .

وصية أبى طالب

وقد قال ابو طالب حين مزقت الصحيفة يعيبها ويذكر اثمها وظلمها ، ويمدح النفر الذين قاموا بتمزيقها ويتمنى في بداية قوله لو يصل خبر تمزيقها للمهاجرين الذين قطعوا البحر الى الحبشة ليفرحوا بذلك ...

الا هل أتى بحريثنا صنع ربنا
على نأيهم والله بالناس أرود(١٣)

فيخبرهم أن الصحيفة مزقت
وانْ كل ما لم يرضه الله مفسَد

تراوحها افك وسحر مجمع
ولم يلف سحر آخر الدهر يصعد

تداعى لها من ليس فيها بقرقر
خطائرها فى رأسها يتردد

وكانت كفاء رفعة بأثيمة
ليقطع منها ساعد ومقلد

ثم يقول داعيا للذين تشاوروا على تمزيقها بجزاء الله الحسن ويمدحهم ويشيد بمفاخرهم وشجاعتهم ..

جزى الله رهطا بالحجون تبايعوا
على ملأ يهدى لحزم ويرشد

قعودا لدى خطم الحجون كأنهم
مقاولة بل هم أعز وأمجد

أعان عليها كل صقر كأنه
اذا ما مشى فى زخرف الدرع أجود

جرىء على جُلّى الخطوب كأنه
شهاب بكفى قابس يتوقد

من الأكرمين من لؤى بن غالب
اذا سيم خسفا وجهه يتربد

ويوصي ابو طالب قومه قبيل وفاته باتباع محمد وتصديقه « ولما اشتد بابي طالب مرضه دعا بني عبد المطلب فقال انكم لن تزالوا بخير ما سمعتم قول محمد واتبعتم امره فاتبعوه وصدقوه ترشدوا » (١٤) .

وهكذا نرى ابا طالب شاعرا يذود بشعره عن الاسلام ويدافع عن ابن اخيه دفاع الابطال . ■■

العراق **حسين الحمدانى**

١٢ ـ اى ولا أخير من الذى خصه الله بالحب .
١٣ ـ السيرة لابن هشام ص ٣٧٨
١٤ ـ اسد الغابة المجلد الاول ص ١٩